

تأملات في الأدب والحياة

يظهر أن في الجماهير ميلا شديداً وحنوا على الذين يحترقونها بأعمالهم دون أقوالهم ويظهر أيضاً أن الجماهير من عباد القوة دون غيرها . ظاهرة يمكن الاستدلال عليها في كثير من ظروف الحالات التي تقع تحت أعيننا في كل يوم ، بل وفي كل آونة .

مستبد يقوم في أمة من الأمم فيقتل حرياتها قتلا ويستولى على الزمام من أمورها عنوة وغصباً ، ويهدر كل يوم من ابنائها دماء ربما كانت أركى من دمه ، ويعقل منهم عقولا ربما كانت أرجح من عقله ، ثم يغويها بكلمات جوفاء ، كالماضي المجيد الذي نعمل على أحيائه ، و التراث العظيم الذي نعمل على بعث رفاته ، و ستحاربون متصرين بعد خمس سنوات فتزلزلون الأرض وتحميمكم أرواح الاجداد ، و الامبراطورية العظيمة تنتظركم فوق الأرض وملكوت الله في السماء . - فلا تلبث ان تنقاد متحمسة للذل ، متفانية في العبودية ، مستميتة في حب الخضوع والاستكانة .

وصحفي يحاول ان يستغل غفلة الجمهور فيقدم له على صفحة لا أكثر من ورق لامع وصور متقنة ، من فائنات رقص عاريات ، أو فتيان يغازلن فتيات في عهر وغواية ، أو رواية وقائع ما إن تروى إلا بين أهل الدعارة وكلمات يفرع منها كل انسان عرف قيمة نفسه ، فيندفع الجمهور المحترق في نظر هذه الصحف ، الممتهن في عقلية ومستوى آدابه ، المتهم في مقدار حكمه على الاشياء وراء هذه الصحف يعصدها لا باعجابه ولا بمدحها ، بل بماله . صحف تعيش على استغلال احط الصفات البشرية ، وتقرض بالربا الفاحش غواية تلقاء ضلالة من الجماهير ، لهى صحف تهتم عقلية قرائها بالفساد ، وتنشر علناً وتحت حماية من القانون صوراً خلقية لم تفكر الحكومات بعد في صيانة الجماهير من أدوائها العديدة . وانى لا عجب كيف أن حكومة للحكومة المصرية هيأت قواها بمثل هذه الحملة المبررة ضد السموم البيضاء التي لا تصيب الا افراداً ولا تقتل إلا مناكب المجتمع بمن قضى عليهم ضعف العزيمة وفقدوا الشجاعة ، تجيز نشر صحف تنفث سمومها لا في الافراد بل في المجموع ، وتعيث فساداً في الارض

وتقيم سداً في وجه المصلحين الذين يحاولون رفع المستوى الأدبي والعلي ، ابن منه سد الاسكندر ، كلا بل سد يأجوج ومأجوج .

في الأدب الحديث جانب من النقص لم أعرف حتي الآن كيف يمكن اصلاحه ، فاني لم اتبين من منازع الادباء حتي اليوم أن هنالك بادرة ترمي الى القضاء على هذا النقص .

أعرف من الادب في أول ما أعرف منه أنه طريقة في الوضع تقابلها طريقة في النقد . أما طريق الوضع فقد قطعنا فيه شوطاً لا بأس فيه على وجه الاجمال ، وأما طريق النقد فذلك هو النقص الذي لانزال نحسه في الادب الحديث . هذا في عصر يقول فيه : كانت :

« يمكن أن نصف هذا العصر بأنه عصر النقد . النقد الذي اضطر كل شيء الى الخضوع له . فالدين على عرش القداسة ، والقانون على عرش العظمة ، قد حاول كلاهما مرات أن يفلت من الخضوع لهذه الضرورة . غير انهما بما حاولا في هذا الشأن قد أقاما في الاذهان شكاً فيما يعضدهما من الأسس والقواعد ، كما أنهما عدما بهذا ، كل ما حبا العقل غيرهما به من الاشياء التي أثبتت قدرتها على الثبات أمام النقد الحر . »

أخرجت منذ أسابيع كتباً في مقارنات تاريخية تقليدية سميت « قصة الطوفان وتطورها في ثلاث مدن قديمة هي الاشورية البابلية والعبرانية والمسيحية وانتقالها بالفتح الى المدينة الاسلامية » وأرسلت منها هدايا للصحف والمجلات التي خيل الى أنها تقدر الاطلاع على مثل هذه الابحاث ، فكانت الباكورة أني أطلعت في إحدى مجلات العراق على نقد جاء فيه :

« اسماعيل مظهر معزم بكل ما يخالف معتقد الاقوام الذين يعيش في وسطهم وقد يصيب في بعض الأحيان في ما ينكره عليهم (الحمد لله) لكن في أغلب الاحايين يخطئ . الهدف .

ثم قال الكاتب . « وأول ما يشاهد في مطبوعات دارالعصور اغلاط الطبع فانها تسبق جميع المطابع في هذا الميدان » . ثم قال « ونراه كثيراً ما يجعل بجانب الكلمة الاصطلاحية العربية الكلمة الافرنجية في حين لا حاجة إلى ذكرها الشيوع معرفتها



ابو بولد فوت يوخ

عند الجميع مثل الدين والفلسفة والتأمل والعلم إلى نحوها ، ثم قال ، وكثيرا ما يخطئ الكاتب في معرفة الألفاظ العربية الاصطلاحية فانه ذكر في ص ١٥ . أنثرو يومور فرم أى الفكرة القائلة بتزويد الله شيئا من الخصائص الانسانية . والمعروف عند السلف (رضى الله عنهم) بهذا المعنى مذهب المشبهة أو التشبيه . وسمى الفلسفة الحية بالفلسفة الاثباتية . وكيف جازله أن يسميها اثباتية والحس أساسها والحس كثير الانخداع كما هو مقرر في علم الطبيعيات ، الى غير ذلك - ثم ذكر أنى أخطأت في تعريب أسماء أعرف أنه يصيب في تعريبها الا من درس اللغات القديمة وعلى الأخص الاشورية والكلدانية .

وأنى لا أريد أن أناقشه فيما ذهب اليه وعلى الاخص لدى اعتراضه على اصطلاحى ذاتى وموضوعى اللذين أراد ترجمتهما بالذهنى والغرضى على ما قال السلف ، مع أن المقصود منهما فى الفلسفة الحديثة بعيد عما ذهب اليه هذا السلف ، ولا أريد أن أنبهه الى أنى ترجمت اصطلاح أنثرو يومور فرم « بالناسوتية » وأنى أول من ذهبت هذا المذهب فى ترجمتها وأغفل مناقشتى فيها ، ولا أريد أن أقول له إن ترجمت فلسفة كونت Positive Philosophy بالحسية خطأ محض وداهية دهياء على الفلاسفة وأهلها ، ولا أريد أن أقول له أنى جريت فى ترجمتها بالاثباتية على قول السلف ، إذ كانوا يقولون فلان جبرى و فلان اثباتى أو مثبتاً ، ولا أريد أن أنبهه الى أن الفلسفة الاثباتية لا تقوم على الحس وحده بل تعتمد بديا كما تعتمد كل العلوم على « تصور » صحيح يثبت الحس بالتجربة أو المشاهدة ، ولا أريد أن أوجه نظره الى أنه اتهم أكثر من صحيفة ومطبعة بالأخطاء المطبعية فقال فى جريدة « البلاد » التى يصدرها فى بغداد الاديب الفذ ، روفائيل بطى ، أن اغلاط الطبع تتدفق فيها تدفق السيل العرم . لا أريد أن أنبهه الى شئ من هذا ، بل أريد أن أسأله — بعد أن أسلم جدلا بكل نقوده هذه — أين الموضوع يا أستاذ ؟ كل ما قلت صحيح ! ولكن ما رأيك فى مقدمة الكتاب وفى الموضوع نفسه . ذلك الموضوع الذى لم نرم فيه الى تعريب الالفاظ ولا ترجمة المصطلحات ، بل الى مرمى يعرف الكاتب أنه مهزوم ان ناقشه

هذا ما ينقصنا فى الادب الجديد . طريقة للنقد تتحرر من التقاليد ومن التعرض . وقد يسائلنا البعض أين التعرض التى ظهرت عليه فى مجلة لغة العرب

التي ساقَت هذا التند ؟ فنقول له ارجع الى الصفحة المقابلة لهذا النقد والتي تشر في رأسها نقد جريدة البلاد « الحرية » الفكر لترى في نهايتها ما يأتي :

الفردوس — مجلة دينية أدبية تاريخية شهرية وستة عشر أشهر يصدرها القس منسى يوحنا راعي الكنيسة القبطية بملوى — ورد الجزء الاول بحجم الثمن الصغير وفيه ١٦ ص والمجلة مفيدة لمن يريد اصلاح الامة من وجهة الدين ، وهي الوجهة الحقيقية التي لا يستغنى عنها امرؤ يبغى الفلاح لنفسه ولغيره .

سائل محرر « لغة العرب » ألم يخطئ راعي الكنيسة القبطية بملوى ؟ ألم تعثر في مجلته على غلطة مطبعية ؟ كلا بالضرورة . وألف كلا .

يروى عن أمية بن أبي الصلت أنه قال في شأن وقعة الفيل يذكر الخنيفة دين ابراهيم
 إن آيات ربنا باقيات ما يمارى فيهن الا الكفور
 خلق الليل والنهار فكل مستبين حسابه مقدور
 ثم يحلو النهار رب كريم بمهابة شعاعها منشور
 حبس الفيل بالمغمس حتى ظل يحبو ثأته معقور (١)
 لازما حلقة الجران كما م قطر من صخر ككب محذور
 حوله من ملوك كندة ابطال ملاويث في الحروب صقور
 خلفوه ثم ابذعروا جميعاً كلهم عظم ساقه مكسور
 كل دين يوم القيامة عند الله الا دين الخنيفة زور
 وقال في خراب سدوم وقصة لوط :

ثم لوط أخو سدوم أناها إذ أناها برشدها وهداها
 راودوه عن ضيفه ثم قالوا قد نهيناك ان تقيم قراها
 عرض الشيخ عند ذاك بنات كظباء بأجرع ترعاها
 غضب القوم عند ذاك وقالوا أيها الشيخ خطبة نأباها
 أجمع القوم أمرهم وعجزوز خيب الله سعيها ورجاها
 ارسل الله عند ذاك عذاباً جعل الأرض سفلها أعلاها
 ورماها بحاصب ثم طين ذى حروف مسوم إذ رماها

(١) لعله يشير الى فيل أبرهة الاشرم

وقال يذكر قصة تضحية ابراهيم لابنه اسحق .

ولابراهيم الموفى بالذم احتساباً وحامل الاجزال
بكره لم يكن ليصبر عنه أو يراه فى معشر أفتال
أبى انى نذرتك لله شحيطاً فاصبر فدى لك حالى
واشدد الصدف لا احيد عن السكين حيد الأسير ذى الاغلال
وله مدية تحايل فى اللحم م حذام حية كلال
بينما يخلع السرايل عنه فكه ربه بكبش جلال
فخذن ذا فارس ابنك انى لاذى قد فعلتما غير قال
والد يتقى وآخر مولود فطار منه بسمع فعال
ربما تجزع النفوس من الأمر له فرجة كحل العقال

ولشعراء النصرانية كثير من مثل هذا الشعر الذى يصوغون فيه روايات
دينية فى أحسن حلة . وغالب الظن ان هذا الموضوع لم يثر فى نقد الشعر العربى
من قبل ، فلو توفر عليه أديب ومضى فى متارانت يستخلص منها معانيه هؤلاء الشعراء
وهم الذين مثلوا حركة الثقافة بنواحيها فى عصورهم ، كأن لنا مجال جديد فى البحث
الأدبى له فوائده كما أن له جماله

ويروى على ذكر أمية ابن أبى الصلت أنه عند ما مرض مرضه الذى مات فيه
جعل يقول : قد دنا أجل وهذه المرضة منيتى . وأنا أعلم ان الحنيفة (دين ابراهيم)
حق ولكن الشك بداخلنى فى محمد . ولما دنت وفاته أغمى عليه قليلاً ثم أفاق وهو يقول :

ليكما ليكما ها أنذا لديكما

لامال يقدبنى . ولا عشيرة تنجبنى . ثم أغمى عليه أيضاً بعد ساعة حتى ظن من
حضره من أهله أنه قد قضى . ثم أفاق وهو يقول :

ليكما ليكما ها أنذا لديكما

لابرى فاعتذر . ولا قوى فانتصر . ثم أنه بقى يحدث من عنده ساعة ثم
أغمى عليه مثل المرتين الأولين حتى يسوا من حياته ، ثم أفاق وهو يقول :

ليكما ليكما ها أنذا لديكما

محفوف بالنعيم

إن تغفر اللهم تغفر جمّاً وأنى عبد لك إلا الما
ثم أقبل على القوم فقال : قد جاء وقى فكونوا في اهبتى ، وحدثهم قليلا
حتى يس القوم من مرضه وأنشأ يقول :

كل عيش وان تطاول دهرأ منتهى أمره الى أن يزولا
ليتنى كنت قبل ما قد بدا لى فى رؤوس الجبال أرعى الوعولا
فاجعل الموت نصب عينك واحذر غولة الدهر انه للدهر غؤولا



القصور الأسبوعية

تصدر صباح الجمعة

من كل أسبوع

فتح جديد فى عالم الادب